سوريا الشمالية) وكونتية طرابلس في الشمال كذلك، ومملكة بيت المقدس، في الجنوب، بينما بقيت دمشق وسوريا الداخلية بيد المسلمين[17].

لقد كانت مهمة صلاح الدين واضحة أمامه، إذ كان عليه أن يبادر إلى توحيد شراذم المسلمين، بصرف النظر عن أجناسهم، عربية كانت أم غير عربية، وهو الكردي المسلم، المولود في تكريت من بلاد العراق، فكان أول ما سعى إليه هو تسلم قيادة الأمة الإسلامية في بلاد العرب، وتوحيد المسلمين في كل من مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية، كي ينطلق، بعدها، لمواجهة الصليبيين.

وكان الحكم في سوريا بيد نور الدين زنكي، وكان هذا سيداً لصلاح الدين قبل أن ينتقل الأخير إلى مصر[18]، وكان نور الدين قد بلغ من العمر آخره، ثم ما لبث أن توفي، فاغتنم صلاح الدين الفرصة وأخضع بلاد النوبة وشواطىء افريقية حتى طرابلس وقابس وبلاد اليمن وجزيرة العرب وسوريا، وكان ذلك كافياً لكي يقنع الخليفة العباسي القابع في بغداد، ضعيفاً متهالكاً، بأن يؤمّره على مصر والمغرب والنوبة بالإضافة إلى الجزيرة العربية وبلاد الشام.

وكانت خطة صلاح الدين تقضي بحصر الصليبيين بين فكي كماشة طرفها الشرقي والشمال الشرقي سوريا وطرفها الجنوبي مصر، خصوصاً وأنه حظي بتأييد الخلافة العباسية، وأن الإمارات الصليبية الأربع التي قامت في بلاد الشام لم تكن تتعدى سواحل تلك البلاد، من عسقلان والعقبة جنوباً إلى حدود أرمينية شمالاً[19].

وما أن استتب الأمر لصلاح الدين حتى بدأ بتنفيذ خطته تلك، من الجنوب أولاً، ثم من الشرق والشمال، وعلى مراحل:

---

(17) حتي، المرجع السابق، ج 2: 749 ـ 761، وانظر: قاسم، المرجع السابق، ص 240.

(18) كان نور الدين زنكي قد أرسل إلى مصر جيشاً بقيادة أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين (لنجدة شاور بن مجير السعدي، أحد وزراء الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين، ضد أحد مناوئيه ضرغام بن سواد) وكان صلاح الدين في عداد هذا الجيش. وقد زاد من قناعة صلاح الدين في ضرورة المبادرة لمواجهة الصليبيين، ما أقدم عليه شاور (الحليف السابق لعمه أسد الدين) من تحالف مع الصليبيين في القتال ضد عمه (بعد هزيمة ضرغام وقتله).

(19) حتي، فيليب، المرجع السابق، ج 2: 764 ـ 765.